

تفسير ابن كثير

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ^ج أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا
يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ^ص فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ

وقوله : (وهم يصطرخون فيها) أي : ينادون فيها ، يجأرون إلى الله ، عز وجل بأصواتهم

: (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي : يسألون الرجعة إلى الدنيا ،

ليعملوا غير عملهم الأول ، وقد علم الرب ، جل جلاله ، أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا ،

لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون . فهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم ، كما قال تعالى منخبرا

عنهم في قولهم : (فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن

يشرك به تؤمنوا) [غافر : 11 ، 12] ، أي : لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ،

ولو رددتم لعدتم إلى ما نهيتم عنه ; ولهذا قال هاهنا : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من

تذكر) أي : أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لاتنفعتم به في مدة

عمركم ؟ وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين

زين العابدين أنه قال : مقدار سبع عشرة سنة . وقال قتادة : اعلموا أن طول العمر حجة ،

فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر ، قد نزلت هذه الآية : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) ، وإن فيهم لابن ثمانى عشرة سنة ، وكذا قال أبو غالب الشيباني . وقال عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن رجل ، عن وهب بن منبه في قوله : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قال : عشرين سنة . وقال هشيم ، عن منصور ، عن زاذان ، عن الحسن في قوله : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قال : أربعين سنة . وقال هشيم [أيضا] ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة ، فليأخذ حذره من الله عز وجل . وهذه رواية عن ابن عباس فيما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أربعون سنة . هكذا رواه من هذا الوجه ، عن ابن عباس . وهذا القول هو اختيار ابن جرير . ثم رواه من طريق الثوري وعبد الله بن إدريس ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) ستون سنة . فهذه الرواية

أصح عن ابن عباس ، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضا ، لما ثبت في ذلك من الحديث - كما سنورده - لا كما زعمه ابن جرير ، من أن الحديث لم يصح؛ لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره .وقد روى أصبغ بن نباتة ، عن علي ، رضي الله عنه ، أنه قال : العمر الذي غيرهم الله به في قوله تعالى : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) ستون سنة .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي : حدثنا دحيم ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني إبراهيم بن الفضل المنخزومي ، عن ابن أبي حسين المكي ؛ أنه حدثه عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء الستين ؟ وهو العمر الذي قال الله فيه : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) .وكذا رواه ابن جرير ، عن علي بن شعيب ، عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، به . وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك ، به . وهذا الحديث فيه نظر؛ لحال إبراهيم بن الفضل ، والله أعلم .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن رجل من بني غفار ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لقد أعذر الله إلى عبد أحياء

حتى بلغ ستين أو سبعين سنة ، لقد أعذر الله إليه ، لقد أعذر الله إليه " .وهكذا رواه الإمام البخاري في " كتاب الرقاق " من صحيحه : حدثنا عبد السلام بن مطهر ، عن عمر بن علي ، عن معن بن محمد الغفاري ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغه ستين سنة " . ثم قال البخاري : تابعه أبو حازم وابن عجلان ، عن سعيد المقبري .فأما أبو حازم فقال ابن جرير : حدثنا أبو صالح الفزاري ، حدثنا محمد بن سوار ، أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري الإسكندري ، حدثنا أبو حازم ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " [من عمره] الله ستين سنة ، فقد أعذر إليه في العمر " .وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعا عن قتيبة ، عن يعقوب بن عبد الرحمن به .ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يونس ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة " . يعني : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) .وأما متابعة " ابن عجلان " فقال ابن أبي

حاتم : حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامراء ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر " . وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ ، به . ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري . طريق أخرى عن أبي هريرة : قال ابن جرير : حدثني أحمد بن الفرج أبو عتبة الحمصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا المطرف بن مازن الكناني ، حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أعذر الله عز وجل ، إلى صاحب الستين سنة والسبعين " . فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق ، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت . وقول ابن جرير : (إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره) ، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري ، والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة ، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى

كمال الستين ، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهزم ، كما قال الشاعر: إذا بلغ الفتى ستين
عاما فقد ذهب المسرة والفتاء ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به ، ويزيح
به عنهم العلل ، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة ، كما ورد بذلك الحديث ، قال
الحسن بن عرفة ، رحمه الله : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا محمد بن
عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعمار
أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك " . وهكذا رواه الترمذي وابن
ماجه جميعا في كتاب الزهد ، عن الحسن بن عرفة ، به . ثم قال الترمذي : هذا حديث
حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وهذا عجب من الترمذي ، فإنه قد رواه أبو
بكر بن أبي الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى ، عن أبي هريرة حيث قال : حدثنا سليمان
بن عمر ، عن محمد بن ربيعة ، عن كامل أبي العلاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ،
وأقلهم من يجوز ذلك " . وقد رواه الترمذي في " كتاب الزهد " أيضا ، عن إبراهيم بن
سعيد الجوهري ، عن محمد بن ربيعة ، به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، من

حديث أبي صالح عن أبي هريرة ، وقد روي من غير وجه عنه . هذا نصه بحروفه في
الموضوعين ، والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى الأنصاري ، حدثنا ابن
أبي فديك ، حدثني إبراهيم بن الفضل - مولى بني مخزوم - عن المقبري ، عن أبي هريرة
، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين "
وبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أقل أمتي أبناء سبعين " . إسناده ضعيف
. حديث آخر في معنى ذلك : قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا إبراهيم بن هانئ
، حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا عثمان بن مطر ، عن أبي مالك ، عن ربي عن
حذيفة أنه قال : يا رسول الله ، أنبئنا بأعمار أمتك . قال : " ما بين الخمسين إلى الستين "
قالوا : يا رسول الله ، فأبناء السبعين ؟ قال : " قل من يبلغها من أمتي ، رحم الله أبناء
السبعين ، ورحم الله أبناء الثمانين " . ثم قال البزار : لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ،
وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة . وقيل : ستين . وقيل : خمسا وستين سنة .
والمشهور الأول ، والله أعلم . وقوله : (وجاءكم النذير) : روي عن ابن عباس ،

وعكرمة ، وأبي جعفر الباقر ، وقتادة ، وسفيان بن عيينة أنهم قالوا : يعني الشيب . وقال
السدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني به الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن
زيد : (هذا نذير من النذر الأولى) [النجم : 56] . وهذا هو الصحيح عن قتادة ، فيما
رواه شيبان ، عنه أنه قال : احتج عليهم بالعمر والرسول . وهذا اختيار ابن جرير ، وهو
الأظهر ; لقوله تعالى : (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كثون لقد جئناكم
بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) [الزخرف : 77 ، 78] ، أي : لقد بينا لكم الحق
على السنة الرسل ، فأبئتم وخالفتم ، وقال تعالى : (وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا) [
الإسراء : 15] ، وقال تبارك وتعالى : (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم
نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير)
[الملك : 8 ، 9] . وقوله : (فذوقوا فما للظالمين من نصير) أي : فذوقوا عذاب النار
جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم ، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه
من العذاب والنكال والأغلال .